

أضواء البيان

@ 350 هـ بآء مِّنْهُمْ أَوْ { وَالَّذِينَ كَفَرُوا } ، وقوله : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا } أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ { ؟ وقوله : { مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا } بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ { ومع هذا فهم يعتقدون أن عملهم حسن مقبول عند الله . . .

والتحقيق . أن الآية نازلة في الكفار الذين يعتقدون أن كفرهم صواب وحق ، وأن فيه رضى ربهم . كما قال عن عبدة الأوثان : { مَا زَعَوْدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّرَ بِوَنَاءٍ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } ، وقال عنهم { وَيَقُولُونَ هَآؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } ، وقال عن الرهبان الذين يتقربون إلى الله على غير شرع صحيح : { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً } ، على القول فيها بذلك .

وقوله تعالى في الكفار : { إِنَّ زَنْهَمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّ زَنْهَمُ مَّهُتَدُونَ } وقوله : { وَإِنَّ زَنْهَمُ لَيَمُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّ زَنْهَمُ مَّهُتَدُونَ } والدليل على نزولها في الكفار تصريحه تعالى بذلك في قوله بعده يليه { أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا } بِأَيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ } . فقول من قال : إنهم الكفار ، وقول من قال : إنهم الرهبان ، وقول من قال : إنهم أهل الكتاب الكافرون بالنبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك تشمله هذه الآية . وقد روى البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه سأله ابنه مصعب عن (الأخرين أعمالاً) في هذه الآية هل هم الحرورية ؟ فقال لا هم اليهود والنصارى . أما اليهود فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وأما النصارى فكفروا بالجنة ، وقالوا لا طعام فيها ، ولا شراب . والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، وكان سعيد يسميهم الفاسقين . إنه من البخاري . وما روي عن علي رضي الله عنه من أنهم أهل حروراء المعروفون بالحروريين معناه أنهم يكون فيهم من معنى الآية بقدر ما فعلوا ، لأنهم يرتكبون أمورا شنيعة من الضلال ، ويعتقدون أنها هي معنى الكتاب والسنة ، فقد ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وإن كانوا في ذلك أقل من الكفار المجاهرين . لأن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب كما قد قدمنا إيضاحه وأدلته . . .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ } أي بطل واضمحل . وقد قدمنا أن الضلال يطلق في القرآن واللغة العربية ثلاثة إطلاقات : .

الأول الضلال بمعنى الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطل . كالذهاب عن